

طريق العبادة

كتبها عبد العزيز الميعان

الكويت أعزها الله بالتوحيد والإسلام والسنة

شعبان 1447

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمني الله وإياك أننا مخلوقون لعبادة الله ومأمورون بها.
والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

وهذه العبادة قد بيّن الله أوصافها في كتابه وعلى لسان رسوله.
ومن أعظم أوصاف العبادة: التوحيد.

وذلك بأن تكون خالصةً لله، فلا نعبدُ إلا الله وحده.
والدليل قول الله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.
وهذا التوحيد لن ننجو في الآخرة إلا به.

والدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ
مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، يَتَغَيَّرُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ".

والتوحيد رحمني الله وإياك: من أعظم أسباب مغفرة الذنوب.

والدليل قوله تعالى في الحديث القدسي: "يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً؛ لأتيتك بقرابها مغفرة".

والرسل الذين هم أفضل الخلق: قد بعثهم الله لأجل التوحيد.
والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

والتوحيد أيها الموفق: أول ما يُبدأ به، بل هو الأهم.
والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن: "فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله".

ثم اعلم رحماني الله وإياك بأنّ الذين بُعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفون بأنّ الله: ربهم وخالقهم.

والدليل قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله﴾.

بل كانوا يعرفون بأنّ الله: رازقهم، ومالكهم، وأنّه يحيي ويميت، ويدبّر الأمر.

والدليل قوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ ومن يدبّر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾.

بل كانوا يحبّون الله، لكنّهم أحبّوا المخلوق كحبّهم لله.

والدليل قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتّخذ من دون الله أنداداً يحبّونهم كحبّ الله والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله﴾.

بل كانوا يعبدون الله ويدعونه، لكنّهم عبدوا غيره معه.

والدليل قول الله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ*إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ*وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وهذه الكلمة بإجماع المفسرين: لا إله إلا الله، وهي كلمة التوحيد.
فكلّ ذلك منهم لم ينفعهم؛ لأنّهم انحرفوا في توحيد الألوهية.
والدليل إنكارُ الله عليهم: ﴿فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾.
وقوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾.
قال جمعٌ من السلف: "إيمانُهم قولهم: (الله خالقنا، ويرزقنا
ويميتنا)، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره".

وكان من أسباب شركهم: طلب القربى من الله، والشفاعة.
والدليل قول الله عنهم: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾.
وقوله: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون
هوّلأء شفعاؤنا عند الله﴾.

فالله لا يقبل الشرك، مهما كان سببه.

ولا يقبل الشرك، مهما بلغ المعبود من المنزلة.

والدليل قول الله: ﴿وَأَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

وهذا الأسلوب في لسان العرب الذي نزل القرآن به: يفيد

الشمول والعموم.

فيشمل كلَّ أحدٍ سوى الله.

فعبادة غير الله ودعاؤه: محرَّمٌ أشدَّ التحريم.

ولو كان المعبودُ مَلَكًا مقربًا، أو نبيًّا مرسلًا، أو وليًّا صالحًا، أو

أميرًا مُعظَّمًا.

بل ولو بلغ العابد ما بلغ؛ فإنَّ الشرك لا يقبله الله أبدًا.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ

لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وحاشا أن يقع ذلك من الأنبياء؛ لكنّه تنبيه وتحذير لمن خلفهم
من الناس؛ فإنّ الشرك لا مجاملة فيه لأحد.

فكيف إذا عرفت بأنّ الشرك سيعود لهذه الأمة.

والدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تعبد
قبائل من أمتي الأوثان".

فكيف إذا عرفت بأنّ المرء قد يكفر بكلمة، وهو لا يشعر.

والدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "وإنّ العبد ليتكلّم بالكلمة
من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنّم".

بل كيف إذا عرفت بأنني وإياك قريبون من ذلك.

والدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "الجنة أقرب إلى أحدكم من
شراك نعله، والنار مثل ذلك".

بل لا نأمن حتّى نرى ملك الموت.

والدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "وإنَّ أحدكم ليعملُ بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلُها".

ومن أسباب ذلك: الرياء والعمل لأجل مدح الناس.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"، فسئل عنه فقال: "الرياء".

فالرياء من الشرك الأصغر، لأنَّه وسيلة إلى الشرك الأكبر.

والشرك الأكبر حفظني الله وإياك منه: يحرم صاحبه على الجنة ويجعله في النار.

والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ يَشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾.

فكيف إذا عرفت بأنَّ أهل النار: تُغلق عليهم الأبواب، ويُنسَوْنَ

فيها، ولا يخرجون منها إلى ما لا نهاية، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا

عليهم مؤصدة﴾، وقوله: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ

يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ ذلكم بأنكم اتخذتم

آيات الله هزواً وغرّتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يُخرجون منها ولا هم

يُستعتَبون ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾،

فالحمد والأمر لله وحده، يفعل ما يشاء في خلقه، ونحن عبادٌ

مقهورون خاضعون له، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

فأقبل على الله، حنيفاً، مائلاً عن الناس، مسابقاً إلى مرضاته،

سائراً خلف النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال: "من سلك طريقاً

يلتمس فيه علماً؛ سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة".

فلا تتردد بهذه الرسالة فاعل الله يرشدك بحرفٍ منها إلى طريقٍ من طرق العلم فتفوز بالجنة بإذن الله، والله غفور شكور.

كتبها أخوك: عبد العزيز الميعان، ليلة العاشر من شعبان عام 1447، في الكويت، أعزّها الله بالتوحيد والإسلام والسنة.

وصلِّ اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.